

د. محمد علي البار

عضو الكلية الملكية للأطباء - لندن

مستشار قسم الطب الإسلامي - مركز الملك فهد للبحوث الطبية

جامعة الملك عبد العزيز - جدة



يعتبر الجذام (الذي كان يطلق عليه قديماً اسم البَرَص) من أكثر الأمراض التي أحدثت رعباً للإنسانية منذ عهود سحيقة؛ وذلك لما يحدثه الجذام في كثير من الأحيان من تشوهات في الجسم، وبتر للأطراف، وشلل في الأعصاب الطرفية.

ورغم أن العدوى (أي دخول الميكروب إلى الجسم) في الجذام عالية؛ إلا أن الإصابة بالمرض ليست عالية، وفي الواقع فإن (خمسة) بالمائة من المخالطين - خلطة شديدة - للمجذومين هم الذين يصابون بالمرض (1). وفي المناطق المصابة بمرض الجذام؛ فإن معظم البالغين من الأصحاء قد أصيبوا بميكروب الجذام، ولكنه لم يسبب لهم أي مرض على الإطلاق (2).

وقد تعاملت البشرية بصورة قاسية في معظم الأحيان مع المجذومين، أو الذين يعتقد أنهم مصابون بالجذام.

ففي سفر اللاويين - من التوراة المحرقة (3) - وصف للبَرَص (الجذام)، وكيف يمكن أن يميزه الكاهن من البقع البيضاء التي قد تكون حزاً أو ناتجة بعد الكي، أو بعد إصابة جلدية، أو جروح، ولما شك أن كثيراً من الذين حكم عليهم أنهم مصابون بالجذام لم يكونوا يعانون منه.

ويعتبر المصاب بالبَرَص (4) (الجذام نَجَساً ويخرج من البلدة. وفي اللحظة التي يعلن فيها الكاهن أن شخصاً ما مصاب بالجذام تشق ثيابه، وينادى عليه: نجس نجس.. (وكل الأيام التي تكون الضربة فيه يكون نجساً.. يقيم وحده).

كما أن علاج الجذام كان مشوباً بالخرافات، ففي سفر اللاويين الأصحاح الرابع عشر (5) تفصيل لهذه الطقوس؛ التي يقوم بها الكاهن لإعلان شفاء المصاب بالبَرَص وخلصه من النجاسة، وذلك مقابل كبشين ونعجة ودقيق وزيت تقدم للكاهن، وفي هذه الأثناء يذبح الكاهن عصفوراً، ويلطخ آخر بدمه، ويجعل هذا العصفور - الملطخ بالدم - يطير فوق المصاب بالجذام.

ثم يذبح كبشاً، ويلطخ المصاب بدمه.. إلخ.

والغريب حقاً أن الجذام كان منتشراً في العصور الوسطى في أوروبا؛ ففي بداية القرن الثالث عشر الميلادي كان في أوروبا أكثر من (19.000) مستعمرة للمجذومين، منها ألف مستعمرة في فرنسا وحدها. وفي القرن الرابع عشر كان في باريس أربعون مستشفى يقابلها أربعون نزلاً للمجذومين، وفي إنجلترا تم إنشاء (720) مستشفى خلال القرون الثلاثة (الثاني عشر إلى الخامس عشر) منها (217) مستشفى للمجذومين (6).

وفي الوقت الراهن يتراوح عدد المصابين بالجذام بين (10 - 15) مليون شخص (7) وتوصله بعض المصادر إلى (20) مليون شخص؛ تتركز في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية (8). ولما يزيد عدد المجذومين في الولايات المتحدة عن ألفين (9)، وفي بريطانيا بلغ العدد المسجل (400) حالة (10).

وبائيات الجذام وطرق انتشاره:

تقدر منظمة الصحة العالمية عدد حالات الجذام بـ (11) مليوناً. بينما ترفع المصادر الطبية الأخرى العدد إلى (15) مليوناً، وبعضها إلى (20) مليوناً (11). ويصل التركيز في بعض القرى في أفريقيا إلى أكثر من مئتي شخص من كل ألف؛ وإن كان هذا زائداً للحدوث (12). والغالب في الأمر أن يكون عدد المصابين بين (25 - 55) من كل ألف من السكان في المناطق المصابة.

ورغم أن المناطق المصابة تتمثل في المناطق الاستوائية أو الحارة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية؛ إلا أن المرض موجود - وإن كان في حالات قليلة - في أوروبا وسيبيريا وشمال الصين، وفي الولايات المتحدة (13)، (حوالي 2.000 حالة في الولايات المتحدة، و 400 حالة في بريطانيا).

فترة الحضانة:



تختلف فترة الحضانة اختلافاً كبيراً، وتتراوح بين ستة أشهر وثلاثين عاماً، ولكن معظم الحالات تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات.

طرق العدوى:

لا تعرف طريقة انتشار المرض على وجه الدقة حتى الآن. وفي الماضي كان يعتقد أن الميكروب ينتقل من جلد المصاب إلى الشخص السليم؛ أما الآن فإن هذه الطريقة في العدوى تعتبر نادرة جداً، وذلك لقلة الميكروبات بصورة عامة في جلد المصاب بالجذام وهذه تمثل الطريقة الأولى.

والطريقة الثانية: تتركز الميكروبات العصبية للجذام في الأنف. وتنقل عطسة واحدة من مصاب بالجذام (من نوع الورم الجذامي) 510×2 ميكروباً (14) إلى الهواء.

وترفع بعض المصادر الرقم إلى 810×2 ميكروباً (15).

ولهذا تعتبر العدوى عن طريق الرذاذ هي أهم مصادر العدوى. ولكن لا يعلم كيف ينتقل الميكروب بعد ذلك من الجهاز التنفسي إلى الأعصاب الطرفية والجلد، كما يحتمل أيضاً أن تنتقل الميكروبات من الرذاذ إلى الشقوق الصغيرة في الجلد.

والطريقة الثالثة المحتملة: هي العدوى بواسطة وخز الحشرات؛ حيث أمكن في المختبرات نقل الميكروب إلى الحشرات ونموه فيها، ولكن لم يثبت حتى الآن بصورة قطعية أن هذه الطريقة موجودة في وبائيات الجذام على الطبيعة.



والطريقة الرابعة: عن طريق اللبن أثناء الرضاعة، حيث تفرز ميكروبات الجذام بكمية كبيرة في اللبن.

أما الطريقة الخامسة فمشكوك فيها؛ وهي عبور الميكروبات المشيمة أثناء الحمل.

ميكروب الجذام:

يشبه ميكروب الجذام ميكروب الدرن إلى حد كبير (ميكو بكتريم) ويقبل صبغة (زيل نيلسون) ولما يمكن إزالة الصبغة بالكحول أو الأحماض، ويتميز ميكروب الدرن بأنه لا يمكن زرعها في المختبر، ولكن العالم (Sphephard) تمكن من تنمية الميكروب في قدم بعض الفئران عام 1960م؛ وقد تبين أن نمو الميكروب بطيء جداً، حيث يتضاعف عدده بين (11 – 13) يوماً.

وقد وجد أن الميكروب يوجد أيضاً في الأرماديللو (16) والقروء البرية في الولايات المتحدة، ولعل ذلك يشكل مخزناً للميكروب في الطبيعة (17). وللميكروب خصائص أخرى لا داعي لتفصيلها هنا (18).

مدى الإصابة:

ورغم أن مرض الجذام يعتبر معدياً؛ إلا أن ظهور المرض أمر نادر الحدوث نسبياً؛ ولما يزيد عدد الذين يصابون بالمرض من المخالطين للمجذومين – خلطة شديدة – عن (5%)، بينما لدى الباقيين مناعة ذاتية ضد المرض (19).

وعند إجراء فحص ليبرومين (وهو أخذ الميكروبات من ورم جذامي يتم قتلها بالحرارة ثم تحقن تحت الجلد) يظهر ورم حبيبي التآلية الحالات في أسابيع أربعة إلى ثلاثة خلال الجلد تحت Granular

1 – معظم البالغين (70%) وأكثر من الأشخاص الأسوياء؛ في المناطق التي يوجد فيها مرض الجذام.

2 – حالات الجذام الدرني.

ويكون هذا الفحص سلبياً بصورة عامة لدى الأطفال وفي حالات الورم الجذامي (الجذام الأسدي).

ويؤكد هذا الفحص أن معظم السكان في المناطق التي يوجد فيها مرض الجذام، قد أخذوا الميكروب وتغلبوا عليه بمناعتهم الذاتية (20).

وهذا يدل على نقطتين هامتين:

الأولى: أن الجذام مرض شديد العدوى.

والثانية: أن ظهور المرض نادر جداً.

أنواع الجذام:

يظهر الجذام بصور متعددة، وأول ظهوره على الجلد بصورة بقعة صغيرة، ونادراً ما تلفت الانتباه، وتعتبر هذه المرحلة غير محددة جهازاً، المقاومة درجة على يعتمد ذلك. مختلفة درجات وبينهما، رئيسيين نوعين بأحد الجذام يتحدد ما وسرعهان Indeterminate Form المناعة في جسم الشخص المصاب.

وتعتمد المناعة في الجذام على ما يسمى المناعة الخلوية Immunity Mediated Cell. بينما لا تؤدي المناعة الخلائية إلى دوراً محدوداً بالنسبة للجذام، ويظهر نوع الجذام بناء على ظهور المناعة الخلوية أو عدم ظهورها.

الجذام الدرني:

وتكون فيه المناعة الخلوية على أشدها، ويظهر الجذام في الجلد على هيئة إصابات جلدية محددة وقليلة، ويندر وجود الميكروب فيها، وتتميز بتفاعل حبيبي، وعدم إحساس للحرارة أو البرودة أو اللمس أو وخز الإبر.

مريض بالجذام الدرني



وقد يشتد التفاعل المناعي فتحدث التفاعلات، ويزداد الورم الحبيبي؛ مسبباً إصابة الأعصاب الطرفية، وبالتالي مؤدياً إلى فقدان الإحساس في الأطراف - مما يؤدي إلى موتها وسقوطها - ويسمى هذا التفاعل الأول Reaction I Type. ورغم أن هذا التفاعل ناتج عن شدة مناعة الجسم؛ إلا أن الضرر على المصاب كبير وخطير.

تآكل العظام في مرضى الدرني

وينتشر الجذام الدرني في أفريقيا بصورة خاصة؛ حيث وجد أن ما بين (80% - 94%) من حالات الجذام هي من الجذام الدرني، أو على حافة الجذام الدرني tuberculoid Borderline. أما في آسيا (الهند) وأمريكا اللاتينية؛ فإن الجذام الدرني وحافة الدرني يشكلان بين (35% - 65%) من جميع حالات الجذام (21).

ويتميز الجذام الدرني وحافة الدرني بالآتي:

1 - العدوى نادرة ومحدودة؛ لقلّة وجود الميكروبات في الجلد والأنف.

2 - الصورة الإكلينيكية المميزة بالموقع الجلدية المفقدة للإحساس، مع تضخم الأعصاب الطرفية: هي الأساس في التشخيص.



3 - التفاعل المناعي القوي يؤدي إلى إصابة الأعصاب الطرفية إصابة بالغة؛ مما يؤدي إلى فقدان الإحساس كلية في الأطراف خاصة، وينتج عنه البتر التلقائي للأطراف.

4 - فحص ليبرومين Lepromin إيجابي التفاعل.

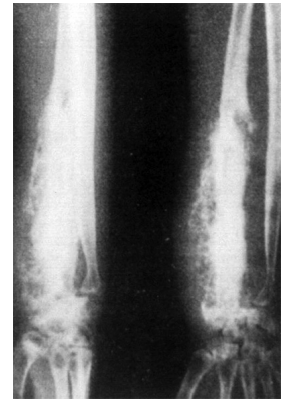
5 - المناعة الخلأئية غير ظاهرة؛ ولهذا فإن مضادات الأجسام المناعية طبيعية، وليس فيها زيادة.

6 - لا توجد إصابة للغدد اللمفاوية والكلية والخصيتين.. إلخ. وتبقى الإصابة محدودة بالجلد والأعصاب الطرفية.

7 - إنه يمكن أن يشفى بدون علاج. وتبقى آثار إصابة الأعصاب الطرفية والجلدية.

المجذام ذو المورم (الأسدي) Leprosy Lepromatous

تكون المناعة الخلوية مختلفة ولما أثر لها، ولذلك ينتشر المرض في الجلد والأغشية المخاطية للجهاز التنفسي - وخاصة الأنف - وفي الجزء الأمامي من العين، والأعصاب الجلدية والطرفية، والجهاز اللمفاوي والغدد التناسلية (الخصيتين)، والغدة فوق الكلوية.



مريض بالمجذام الأسدي

مميزات المجذام ذو المورم (الأسدي):

1 - شدة العدوى وخاصة من إفرازات الأنف؛ حيث يحتوي المليلتر على 810×1 من ميكروبات المجذام، وتحتوي العطسة القوية على 810×2 ميكروباً من ميكروبات المجذام (22).

2 - إصابة العين (التهاب القرنية، والقرنية) قد تؤدي إلى العمى، وإصابة الأنف تؤدي إلى تحطم الحاجز الأنفي، وإصابة الخصيتين تؤدي إلى العقم، وإصابة الغدد اللمفاوية والمطحال والمخاطبات والعظام تؤدي إلى إصابة بالغة بالجسم.

3 - إصابة الجلد بصورة منتشرة وغير محددة، ويتغضن وجه الجلد بصورة خاصة؛ مما يجعله يشبه إلى حد ما وجه الأسد، ومنها ظهرت التسمية (المجذام الأسدي).

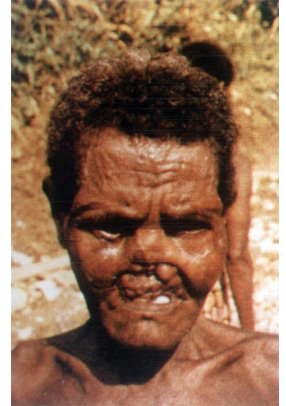
4 - التفاعل المناعي - بواسطة الخلايا الخلوية Immunity mediated Cell - منعدم، ولكن التفاعل الخلأئي المناعي immunity Humoral موجود، وعلاماته زيادة في البروتينات المناعية (وبالذات الجلوبيولين) في الدم globulinaemia gamma Hyper وتكون الفحوصات المخبرية الخاصة بالذهري - مثل فحص وازمان، وRL.D.V - إيجابية؛ نتيجة التفاعل مع الجلوبيولين المناعي في الدم. وكذلك تكون الفحوصات المتعلقة بالجلوبيولينات المبردة inaemia globul Cryo إيجابية بنسبة (30%) من الحالات.

وكذلك تكون مضادات الأجسام - المضادة للأنتوية antibodies Antinuclear - إيجابية. وتزداد في الدم البروتينات شبه المنشوية proteins Amyloid.

5 - تزداد الحالة سوءاً مع تقدم الأيام - إما إذا عولجت علاجاً دقيقاً - وتكون الموضاة بسبب الإلتهابات الميكروبية الغازية، أو بسبب المضل

الكلوي، أو بسبب مرض Amyloidosis.

6 - فحص ليبرومين سلبي المتفاعل.



7 - تحدث تفاعلات مناعية مع البروتينات المناعية (Immunoglobulins) وتؤدي إلى حدوث التهاب في الأوعية الدموية؛ مسبباً الحمرة العقدية الجذامية Enlhyman nodum و التهاب الخصيتين، والتهاب المذرقية، والتهاب الغدد اللعابية، والتهاب العضلات.. وتعرف هذه التفاعلات باسم المتفاعل الثاني Typo للتمييز بينها وبين المتفاعل الأول الذي يحدث في الجذام الدرني.

وتوجد حالات من الجذام - لها هي من الجذام الدرني ولما من الجذام ذو الورم الجذامي (الجذام الأسدي) - وهي تُقسّم على حسب مقربيتها من الجذام الدرني - وتعرف بحافة الدرني - أو مقربيتها من الجذام ذو الورم الجذامي - وتعرف بحافة الورم الجذامي، وقد تميل من حافة الجذامي وتتحسن حتى تصل إلى الدرني، أو تسوء من حافة الدرني حتى تصل إلى الورم الجذامي.

ومن الجدير بالذكر أن الحمل لا يزيد من مضاعفات الجذام بالنسبة للحامل. وكذلك فإنه من المشكوك فيه جداً أن ينتقل ميكروب الجذام عبر المشيمة إلى الجنين. ولكن من الثابت أن لبن الأم التي تعاني من الجذام - ذو الورم الجذامي - يحتوي على كثير من ميكروبات الجذام إذا لم تكن الأم تتناول العلاج (23).

وقد كان الأطباء ينصحون بعدم إرضاع الطفل من أم تعاني من الجذام، أما الآن فإنهم يسمحون بإرضاعهم؛ وذلك للأسباب التالية:

(أ) أن الأم التي تتناول العقاقير لمعالجة الجذام تكون غير معدية.

(ب) أن الأم التي تعاني من الجذام الدرني نادراً ما تفرز الميكروبات في لبنها.

(ج) أن عدم الإرضاع يؤدي إلى أمراض كثيرة بالنسبة للأطفال - وخاصة في البلدان النامية - حيث تظهر حالات الجذام، والمستوى الصحي منخفض في تلك المناطق، ويؤدي ذلك إلى وفيات الأطفال - نتيجة تناول اللبن من القارورة - بسبب الإسهال المتكرر.



صورة تبين تهتك أنسجة القدمين في مرض الجذام

دراسة الأحاديث الواردة في الجذام على ضوء المعلومات الطبية

إن الأحاديث التي صحت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والمتعلقة بالمجذام هي:

1 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لَا عدوى وَلَا طيرة وَلَا هامة وَلَا صفر. وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)(24).

2 - عن عمرو بن الشريد - رضي الله عنه - قال: (كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - إنا قد بايعناك فأرجع)(25)، وهما حديثان صحيحان وعليهما مدار البحث.

3 - أما حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيد مجذوم فأدخله معه في القصعة ثم قال: (كل باسم الله، ثقة بالله، وتوكلًا عليه)(26). فهو ضعيف ولا اعتبار له.

ومما تقدم في أسباب المجذام وأنواعه يتبين لنا الآتي:

1 - أن المجذام مرض شديد العدوى - وخاصة المجذام ذو الورم الجذامي Leprosy Lepromatous - وأن معظم السكان البالغين في المناطق التي يوجد فيها مرضى المجذام قد دخل الميكروب إلى أجسامهم.

2 - أن نسبة قليلة لا تتجاوز (5%) من المخالطين للمجذومين خلطة شديدة هم الذين تظهر عليهم آثار مرض المجذام.

3 - أن المجذام أنواع، وأن النوع المعدي هو المجذام ذو الورم الجذامي، أو المجذام الأسدي؛ الذي يشبه فيه وجه المجذوم وجه الأسد (27)، وأن المجذام الدرني غير معدٍ إلّا فيما ندر.

4 - أن ظهور مرض المجذام لا يعتمد على ضراوة ميكروب المجذام Virulence. بل يعتمد على درجة مقاومة الشخص وجهاز مناعته.

5 - قد يحمل المصاب بالمجذام عدداً مهولاً من ميكروبات المجذام - تصل إلى (1310) ميكروباً في جسمه، ويبلغ في دمه (510) ميكروباً لكل مليلتر من الدم، ومع هذا لا يبدو على هذا الشخص أعراض أي مرض، ويبدو ظاهرياً في صحة تامة جيدة (28).

المراجع:

1- Berkow R. (editor in chief) Merck Manuale of Diagnosis and therapy. Merck, sharp and Dohme, N.J. 1982 (14th Edition) pp> 140 - 146.

2- Bullock W.R. Mycobacterium Leprosy. In Mandell, Douglas, Bennet (eds). Principles and Practice of Infectious Diseases. Wiley and Sons. New York 1979pp. 1943 - 1953.

3- Bryceson A. Leprosy. Medicine International 1981, 1. (3): 123 -126.

4 - سفر اللاويين، الإصحاح 13، الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة (بدون تاريخ).

5 - سفر اللاويين، الإصحاح 14، الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس - القاهرة.

6- Encyclopedia Britanica, 15th Edition 1982 vol 8:695.

7- Bullock W.R. Leprosy. In Wyngarden J. and Smith L (eds). Cecil Textbook of Medicine. Saunders Co. Philadelphia - London - New York, 1985 (17th edition) pp. 1634 -39.

8- Duncane M.E. Leprosy in Pregnancy. Postgraduate Doctor 1986,9 (6): 384-392.

9 - محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري مع الفتح - كتاب الطب - مطبعة الشعب (بدون تاريخ).

10 - مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، باب الطب - كتاب السلام، باب اجتذام المجذوم، دار الطباعة العامرة 1329هـ القاهرة.

11 - محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي.

المهامش

(1) انظر المرجع رقم (1) من قائمة المراجع.

(2) انظر المرجع رقم (1 - 3) من قائمة المراجع.

(3) انظر المرجع رقم (4) من قائمة المراجع.

(4) يطلق اسم البرص - وخاصة عند القدماء على مرض الجذام وقد يطلق أحياناً على البهاق، والبهاق مرض جلدي غير مُعْدٍ، يفقد الجلد فيه لونه ويصبح شديد البياض. وسببه غير معروف على وجه الدقة، ويعتقد أنه ناتج عن توتر نفسي وقلق. وهناك ذوع وراثي (Albinism) خاص.

(5) انظر المرجع رقم (5) من قائمة المراجع.

(6) انظر المرجع رقم (6) من قائمة المراجع.

(7) انظر المرجع رقم (1، 2، 3، 7، 8) من قائمة المراجع.

(8) انظر المرجع رقم (1) من قائمة المراجع.

(9) انظر المرجع رقم (7) من قائمة المراجع.

(10) انظر المرجع رقم (8) من قائمة المراجع.

(11) انظر المرجع رقم (1) من قائمة المراجع.

(12 و 13) انظر المرجع رقم (7) من قائمة المراجع.

(14) انظر المرجع رقم (3) من قائمة المراجع.

(15) انظر المرجع رقم (1) من قائمة المراجع.

(16) الأرماديللو Armadillo حيوان ثديي يغطي جسمه حراشيف، وهو أشبه بالخلد والقنفذ، ويتغذى على الحشرات، ويوجد في أمريكا اللاتينية وولاية تكساس من الولايات المتحدة. ويسمى أحياناً المدرع.

(17) انظر المرجع رقم (7) من قائمة المراجع.

(18) انظر المرجع رقم (2) من قائمة المراجع.

(19) انظر المرجع رقم (1) من قائمة المراجع.

(20) انظر المرجع رقم (1، 2، 3، 7، 8) من قائمة المراجع.

(21) انظر المرجع رقم (7) من قائمة المراجع.

(22) انظر المرجع رقم (2، 7) من قائمة المراجع.

(23) انظر المرجع رقم (1، 2، 3، 7، 8) من قائمة المراجع.

(24) (فتح الباري 10/158).

(25) انظر صحيح مسلم 4/1752 ح 126، وقد رواه أيضاً النسائي في البيعة، وابن ماجه في الطب - الهيئة.

(26) رواه الترمذي في كتاب الأُطعمة 4/266 ح 1817، وقد رواه أبو داود، وابن ماجه أيضاً في الطب، والحديث ضعيف، وقد روي عن عمر موقوفاً عليه - والله أعلم - الهيئة.